"فرحة"
بقلم
د/ فاطمة الزهراء الحسيني

سطور من حياة

د / فاطمة الزهراء الحسيني

* فاطمة الزهراء الحسيني طبيب مقيم أمراض الصدر والحساسية، حصلت على بكالوريوس الطب والجراحة جامعة المنصورة دفعة ٢٠١٢، صدر لي مجموعتين قصصيتين.. **"القبر المنسي"** و**"شعب البالوعة العظيم"**، كما شاركت في مجموعات قصصية جماعية **(الأكواريوم- حواديت- الفتيات لا تحب فصل الربيع - وجوه آيلة للسقوط- ملحمة القلوب)**

* أتمنى أن تحمل كتاباتي السلام والمحبة للبشرية جمعاء.. أن تستطيع إيقاف العنف والتنمر.. أن تجفف الدماء البريئة الطاهرة.. أتمنى أن تتحول كلماتي إلى حمامات السلام تحلِّق في الأجواء لتمنح هذا العالم ما ينقصه من الحب والأمان.

* هل للأحلام سقف؟.. الأحلام ما أن توهب لها أجنحة حتى تحلِّق بعيدًا.. أمَّا عن حلمي الأكبر وهمي الأعظم أن نعود لإنسانيتنا التي سقطت منا بينما نجري خلف الرغيف.. أن يعود الحب الإخلاص وأن ينتهي الحقد وتموت الكراهية ويندثر الجهل.

* للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:

" فرحة "

لست أدري أين نقطة بداية قصتي.. لكنني سأختار أن أبدأ من لحظة ميلادي لم تكن لحظة ميلادي مميزة، فلم يكن منزلنا مرصَّعًا بالبهجة.. كان الجدار يرتدي ثوب الحزن الكالح، والنمارق بائسة هزيلة، وثوب جدَّتي التعس اتسخ بسائلي الأمنيوسي بينما كانت تساعد الداية في استقبالي.

تقول جدَّتي: أشهر حمل والدتكِ بكِ كانت أشد أشهر حياتنا ثقلًا ، أخذ والدكِ أختكِ الكبرى بعدما طلَّق والدتكِ طلاقًا لا رجعة فيه.. تمنَّينا جميعًا.. أن لا تولدي أو على أعلى تقدير.. أن لا تولدي فتاة، حين رأتكِ والدتكِ بكت قالت: "فتاة أخرى.. عبء آخر.. من بوسعه أن يتحمل كل هذا..؟"

وقتها أشفقتُ على والدتكِ.. قلت لها لا بأس سأربيها أنا فقد كبرتُ وخلت الدار من القدم.. وأنا بحاجتها تمامًا كما هي بحاجتي

وقتها ابتسمت والدتكِ.. وسألتني ماذا سوف تسميها يا أمي..؟

"فنظرتُ إليكِ.. وأجبتُ فرحة"

لطالما تساءلت ماذا لو التقيت أبي يومًا ما في أحد الأزقة..؟ هل كان سينظر إليَّ ويتعرف على الشطر الذي يخصه بملامحي وحركاتي وطريقة ضحكته؟!

تجيب جدتي: أنني أشبهه كثيرًا.. كلَّما سألتها كيف كانت ملامحه؟

و تصر أنها حاولت أن تثني والدتي عن إحراق جميع صوره، وأنها حاولت الاحتفاظ بصورة من أجلي لكنها لم تفلح.

ثم أتساءل كيف صارت أختي ليلى.. هل هي رائعة الجمال مثل والدتنا.. أم كاسدة القلب مثلي..؟

إن أمثالنا يا ليلى هم من يدفعون ثمن الخيارات الخاطئة يدفعون الثمن غربة وفرقة ووحشة.. ماذا كان سينقص من هذا العالم لو حصلنا على ذكريات مشتركة..؟ أرتدي ثوبك الذي تحبين دون علمك.. ثم تكتشفين الأمر ونتشاجر طوال الليل.. ثم أعتذر لكِ قبل أن ننام.. وأهمس في أذنكِ تصبحين على خير يا أختي الكبرى..؟

وفي الصباح الباكر نذهب إلى مدرستنا فتتشاجرين من أجلي مع تلك الفتاة التي لا تنفك عن محاولة مضايقتي والنيل مني.

ماذا لو كنتِ هنا أو كنت معكِ هناك.. تمسك إحدانا يد الأخرى..؟

تمشَّطين لي شعري.. وربما تسحبينني منه إذا لزم الأمر كان أبي أخر من تبقى من عائلته لذلك رحل دون أن يلتفت خلفه.. دون أن ينظر إلى الوراء.. دون أن يفكر.. حمل ليلى على كتفه وغادر.. ماذا عني ألست جزءً من عائلته..؟!

تقول جدتي: عندما علم بحمل والدتكِ بكِ.. غضب غضبًا شديدًا.. وقال لها لقد انتهى هذا الزواج.. ولن يفلح وجود هذا الطفل في محاولة الحصول على فرصة جديدة.. إن كنتِ تريدينه فلتتكفلي به.

تقول جدتي: لو كان رأكِ ما رحل.

❀❀❀

إن الذي يقرِّر الرحيل لا يمكنك منعه ،أعرف ذلك جيدًا.. أعرف كل شيء.. أعرف ذلك الاهتمام الزائف.. الذي يسلبني عقلي ووقاري.. أعرف تلك الكلمات المليئة بالمشاعر بينما تخرج من شفتين سقيمتين اعتادتا قولهما ربَّما باسم الواجب أو ربما كنوع من المجاملة.. قد يحتمل الأمر كل شيء ما عدا أن

يكون خروجها باسم الحب..

الحب شيء أخر.. لا يمكن للكلمات السقيمة أن تعبر عنه.. الحب شعور.. رباط مقدس يخرج من قلبك إلى قلبه ليقول لك لا أريد منك أي شيء.. لا أريد إلا أن تكون بخير.

برأيي أن المشكلة الحقيقية ليست أن نجد من يقدم لنا هذا الحب.. المشكلة الأكبر عندما نكتشف أننا عاجزين عن حب أنفسنا عن تقبُّلها كما هي.. أن نخجل منها.. أو نتبرأ منها.. أن نحاول إخفاءها، أن لا نكف عن لومها عن أخطاء لم ترتكبها يومًا.. إنما نُسِبت لها.

إنني أقف أمام صفحات حياتي حائرة.. لو أنني أدركت مسبقًا كل هذه الحقائق.. لِمَا لعبت دور الضحية لفترة طويلة.

لطالما كانت تقول جدتي.. "أنتِ لستِ ضحية ولا يمكن وصفكِ كناجية.. أنتِ محاربة عظيمة.. فتاة مميزة"

كانت هي الوحيدة التي تؤمن بي.. بينما لم يؤمن بي أحد حتى أنا.

❀❀❀

لماذا يُعاملني العالم كخطيئة؟ لماذا لم يلفظني رحم

والدتي؟ لماذا لم يلتف حبلي السري حول رقبتي.. لماذا ولدت ألأعيش وحدي هذه الحياة القاسية؟ أم لإجابه كل هذا البؤس..؟ تقول جدتي: إن لم يشعر ببهجة العيد فهو آثم.

فليكن.. أنا آثمة يا جدتي.

وكيف يمكنني أن أشعر ببهجة العيد وأنا مضطرة للجلوس على نفس الطاولة مع المرأة التي ولدتني ذات خريف ثم جفَّفت لبنها وأنا لم أتم بعد شهري الرابع.. لترتدي فستان زفافها الثاني.

تخيَّلوا أن أقوم بالأكل من نفس الصحن الذي تأكل منه أختيَ غير الشقيقتين.. أُختاي اللتان كلَّما نظرت إليهما تذكَّرت أنني بلا أم أختبأ في أحضانها كلَّما أفزعتني الحياة وبلا عائلة يمكنها أن تمنع العالم من إخافتي.

هندام أختاي المنمَّق، وسلوكهما المهذب، واحترامهما للكبير يجعلان منهما نموذجًا يستحق الفخر به.. أما أنا فنموذج يستحق أن يتم التخلي عنه، وإن كانت والدتي تحاول إظهار بعض الاهتمام الزائف.. إلا أن عينيها لا تلمعان شغفًا، محبةً، أو حتى شعورًا بالذنب!.. إن قلبها لا يمكنه أن يُبصر هذا الحطام الذي يسير على قدمين ويرتدي زي فتاة.

كل هذا وجدتي وحدها من تشاهد هذا المشهد القاسي وليس باستطاعتها تقديم شيء أكثر مما قدَّمته لي بمحبة وتقدير إلا أنها مضطرة بين الحين والآخر لتجاهل بعض الأصوات الصادرة من أخوالي المتسائلة في حنق بمناسبة وغير مناسبة.. لماذا تفضِّلين هذه الفتاة أكثر من أولادنا.. لماذا تخصينها بكثير من الحب..؟

هل حقًا لا أستحق هذا الحب؟

بعد أن ينتهي العيد وتعود والدتي وابنتيها إلى منزلهنَّ في البلدة البعيدة ويعود أخوالي إلى منازلهم في المدينة الكبيرة.

أسأل جدتي ككل عيد سؤالًا واحدًا..

ماذا كنت سأفعل لو لم تكوني بجواري؟

وككل عيد تجيب عليَّ بسؤالها

بل ماذا كنت أفعل أنا لو لم تكوني هنا؟

❀❀❀

لديَّ رغبة هائلة في الانتقام من أي أحد ومن أي شيء.. أريد تحطيم كل شيء.. وإفساد كل شيء.. أريد الثأر لنفسي أو ربما من نفسي.

لماذا أعيش بشعور النقص والانكسار بينما الذين ظلموني يعيشون حياتهم بطريقة طبيعية؟ والدتي التي تخلَّت عني تعيش سعيدة مطمئنة في منزلها مع زوجها وبناتها، ووالدي الذي لا أعرف عنه شيئًا وليلى التي لم ألتقِ بها يُكمِّلان حياتهما دون أن يلتفتا إليَّ وأنا ليس بمقدوري فعل أي شيء سوى الوقوف وغير مسموح لي بالاستناد على أي شيء في عربة القطار المزدحمة التي تأخذني إلى الوجهة التي تريد..

ليس من المفترض لي أن أتألم.. ليس من العدل حصولي على كل هذا الكم من الوحدة، والتعاسة، من الجفاء، والبعد.

لماذا أنا دونًا عن الجميع من يدفع الثمن؟

ما الذنب الذي اقترفته لأجد نفسي الفتاة التي تخلَّى عنها أهلها؟

لا تلعبوا مع الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها لا يوجد من يهتم بتربيتها ومراقبتها تفعل ما تشاء وقتما تشاء ولن يلحظ أحد حضورها أو غيابها!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها لابد أن لديها مشاعر حقد دفينة تجاه كل الفتيات ونقم تريد صبُّه على كل الأمهات!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها لا يمكنها أن تثق في أحد، ولا أن تحب أحد، ولا أن تعطف على أحد!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها قاسية، جافة، بلا مشاعر، ولا قلب!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها سوف تتخلى مستقبلًا عن أولادها!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها ستكبر وستنتقم من المجتمع!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها ستكون يدًا من أيدي الإرهاب!

لا أحد يشعر بالقهر الذي أعانيه لا أحد يفهم بل لا أحد يريد أن يفهم، إنهم يطلقون الأحكام يرمونني بالتهم يقومون بجرحي دون أن ينظروا إلى أثر سكينهم المغروز في قلبي.

لقد تجنَّبت الجميع أذهب إلى المدرسة بمفردي وأعود بمفردي أستذكر دروسي بمفردي لا يمكن لأحد العيش بمفرده لكنَّني مرغمة على العيش بهذه الطريقة.

إنني وحيدة في سجن منعزل داخل أسوار صنعوها خوفًا على بناتهم مني تقول لي جدتي أن حقيقة ما أشعر به هو الغضب.

وأن فرحة التي ربَّتها لو أُتحيت لها الفرصة للانتقام فلن تنتقم من أي أحد..

❀❀❀

عندما أنهيت المرحلة الإعدادية أصرَّت جدتي على أن أكمل دراستي ولم تلتفت لاعتراض أخوالي، ولم تستمع لنصائح الجيران "زوَّجي فرحة.. فأنتِ لن تعيشي لها العمر كله"

لكنَّها كانت تجيبهم.. "ستحصل على كل ما تحصل عليه بنات سنها من التعليم والتربية والرعاية"

وعندما أنهيتُ الثانوية العامة قال لها خالي الأكبر: " زوَّجي فرحة.. لن تبقي بجوارها العمر كله"

كانت جدتي تحارب من أجلي في السر والعلن ولم أكن أعلم عن كم المُضايقات والانتقادات التي كانت تعانيها..لم يفرح أحد بالتحاقي بكلية الحقوق سواها.

حتى المرأة التي ولدتني أقصد تخلَّت عني بدا وكأنها لم تهتم.

زففتُ إلى جدَّتي خبر قبولي بالكلية فأطلقت الزغاريد.

سألها الجيران..

-خير يا جدتنا؟

-ابنتي فرحة ستصير محامية تنتصر للمظلوم وترد لأصحاب الحقوق حقوقهم.

كانت الجامعة تبعد حوالي الساعة عن منزل جدتي.. ومع ذلك رفضتُ الإقامة في المدينة الجامعية وأثرت تحمُّل مشقة السفر يوميًا لكي أبيت في نهاية اليوم بين أحضانها..مَنْ منَّا أشد حاجة للأخرى..؟

أنا أم هي؟

لست أدري.

هي رفيقتي وصديقتي أمي وأختي لا أعرف غيرها، ولا أطمئن لسواها، معها سري الأكبر والأصغر وحكاياتي المملة والسخيفة.

و أنا صديقتها أهتم بتفاصيلها أُمشِّط لها شعرها، أقوم بتدليك ظهرها وقدميها.. لا أفوِّت مواعيد دوائها.. أصنع لها الحلوى التي تحبها.

بعد أربع سنوات تخرَّجت في كلية الحقوق، وصرت أتدرب في مكتب محاماة.

مرَّت الأيام وأصبحت جدتي ذات الثمانين عامًا تهزل يومًا بعد يوم.. أمراض الشيخوخة انقضَّت عليها جملة واحدة القلب وهشاشة العظام وارتفاع الدهون في الدم، ولم يعد يشغل بال جدتي إلا أمرًا واحدًا أن تطمئن عليَّ، وتزوِّجني لزوج كما تقول "ابن حلال"..

وكنت أنفر من أي حديث له علاقة بموضوع الزواج كما أنفر من العمى..

لقد توقَّفت جدتي عن تفهم مخاوفي بل إنها صارت أكثر إلحاحًا وإصرارًا على تزويجي في أسرع وقت ممكن..

تقول جدتي: لا تخافي لن تكوني يومًا كوالدتكِ، ولن تتخلي يومًا عن أحد أولادك.

❀❀❀

لقد رحلتْ جدتي..

في يوم رحيلها تناولنا الفطور معًا مثل أي يوم قبلتُ رأسها ويديها مثل كل يوم، قلت لها: الغداء في الرف الأول من الثلاجة تناوليه ولا تنتظريني لديَّ عمل بعد الظهر وسوف أتأخر.

كنتُ في المحكمة أترافع في قضية نفقة بينما كانت -جدَّتي-

نائمة في سريرها الواسع فترة الظهيرة يؤلمني قلبي عندما أتخيَّلها قضت نحبها وهي بمفردها في بيتها الكبير، كانت مفارش السرير بيضاء، والنوافذ مغلقة، والتفاصيل غائبة عن الذكر.

عدتُ إلى المنزل، فتحتُ الباب، قلتُ مثل كل يوم بصوتٍ عالٍ: لقد عدتُ يا جدتي، لكنَّها لم تُجبني ككل يوم بمرحبًا يا ابنتي.. رحلت دون أن أودِّعها، دون أن أقف عند رأسها أُذكِّرها الشهادتين، دون أن أسمع وصاياها الأخيرة.

برحيلها رحل الشخص الوحيد الذي كان لي، رحل ليتركني أواجه هذا العالم بلا أحبَّة ولا أصدقاء فقط بوجه خشبي، وملامح قاسية، وتصرفات بعيدة عن الرحمة والرأفة.

لو أطلق عليَّ أحدهم لقب فمن الطبيعي جدًا أن يكون المرأة الفولاذية إن الحديد قد يلين لكن الفولاذ سيصمد لوقت أطول.

تركتني ولسان قلبي يقول: لماذا لم تأخذيني معكِ.. إلى عالم أكثر رحمة وعدلًا؟

لقد امتلأ البيت بالرجال والنساء.. لست أدري إن كان الحزن حقًّا هو قاسمهم الأكبر، لكن المؤكد أن الواجب والمجاملات كان لهما الدور الأكبر في هذا الجمع الكبير..

يتبادلون التعازي والتعارف والأخبار في امرأة عجوز ولسان حالهم.. " لو نعيش نصف عمرها".

عيناي عاصيتان ترفضان الاعتراف بحقي في البكاء، وروحي تجلس قريبة مني تأبى الانفصال عني والعودة إليَّ متعلقة بروح جدتي الراحلة.

بعد صلاة العشاء جلست بجواري المرأة التي ولدتني، لست أدري مَنْ منَّا كان المفترض عليها أن تأخذ عزاء جدتي أنا أم هي؟ لكنَّها قالت لي:

-البقاء لله يا فرحة..

فقلت لها: عظم الله أجركِ في والدتكِ..

رغمًا عن كل شيء تمنَّيتُ لو تحتضني لثانية واحدة فأبكي بين ذراعيها ثم ننسى أنا وهي هذا الحضن المُحرَّم في علاقة ابنة بوالدة تخلَّت عنها..

لكنه لم يحدث، ولن يحدث، إن المسافات التي بيننا لم تستطع جدتي أن تُذيبها وهي على قيد الحياة، ولن يستطيع غيابها فعل أي شيء.

كنت بحاجة إلى صدر حنون أبكي عليه لكنَّني لم أجده.

عندما خلا الدار وقام الجميع باستئناف حياتهم، وجدت نفسي أحتضن ملابس جدتي الأخيرة، ثم استسلمت عينيَّ للبكاء.

❀❀❀

لم تترك جدتي شيئًا للصدفة كانت تعلم أنه برحيلها لن يتركني أحد أسكن دارها، كانت تدرك أن المرأة التي ولدتني سوف تقوم ببيع حصَّتها من المنزل لأخوالي، لذلك لم تتردد جدتي في كتابة الدار باسمي، لكن عندما علم أخوالي قامت القيامة في الدار ولم تقعد لقد سُحرت أمنا العجوز، ولا شك أنه قد أصابها الخرف سوف نطعن في هذا البيع، وسنثبت أنها فقدت أهليتها.

لماذا يا جدتي بدلًا من أن يستغفروا الله من أجلك.. ويدعوا لكِ بالفردوس الأعلى.. يدعون عليكِ؟! بدل أن يذكروا محاسنكِ هاهم يفسدون ذكراكِ؟!

حتى أنا تفاجأت أنكِ كتبتِ الدار باسمي، وكأنكِ رغم وفاتك تحاولين حمايتي، لكنني لم أحتمل يا جدتي، لم أحتمل إساءتهم لذكراكِ، ظلمهم الواقع عليكِ، فليأخذوا ما يريدون، فليأخذوا كل شيء، لقد تنازلت لهم عن الدار فليقتسموه بينهم كما يشاءون، أسفة لعدم تحقُّق رغبتكِ.

لقد انتهى كل شيء.. إذاعة القرآن الكريم التي كانت تعمل في خلفية الدار، والمسلسل الذي كنا نتابعه معًا، والقصص ذات النهايات السعيدة التي كنتِ تقصينها عليَّ، والصنبور الذي يقوم بتسريب المياه، والقطة التي كانت تزورنا من وقت إلى أخر، والأولاد الذين كانوا يتسلقون سور الدار ليسرقوا التوت من شجرتكِ، وانتهى ذلك الاجتماع كل عيد.

عاجلًا أو أجلًا كنت سأرحل، فرائحتكِ تسكن الجدران، وصوتكِ يتردد في كل مكان، وقرع أقدامك لم يتوقف، الدار من غيركِ لا تطاق، لقد انتقلت إلى شقة إيجار شراكة بيني وبين زميلة لي، الشقة قريبة من مكتب المحاماة الذي أعمل به تقاسمنا الأجرة سوية تبدو لي ذات تربية عالية لكنني لا أتعامل معها إلا في أضيق الحدود.

***

مازلتُ أجني ثمار دعواتكِ، مازالت روحك قريبة مني تحاوطني من كل جانب، مازلتُ أذكركِ في كل وقت، أعمل بنصائحكِ إن مسَّني حزن شعرت بكِ تمسحين على قلبي وإن أصابني فرح شاركتكِ فيه.

رغم مرور خمس سنوات على فراقكِ لكنني لم أتأقلم، كلَّما

اشتقت إليكِ ذهبت لزيارة دار المسنين والعجزة أبحث عن طيفكِ بينهم، التقيت هناك بجدة عجوز تشبه تفاصيلكِ.. اسمها الجدة يُسرية.. فقدت أبناءها في الحرب.. رغم كبر مصيبتها، وحزنها القابع داخل أسوار روحها.. إلا أنها قادرة على العطاء.. مازالت قادرة على منح الحب.. كنت أظن يا جدتي أن أحوالنا السيئة والخذلان المتكرر يقومان بمنحنا الحق في معاملة الناس بالمثل أو على أقل تقدير في تجنب التعامل معهم.

خمس سنوات يا جدتي وأنا لم أمل من البحث عن والدي وعن ليلى، أخر ما توصلت إليه أنهم هاجروا قبل عشرين سنة إلى كندا لكن المعلومات التي بين يدي إلى الآن غير مؤكدة.

خمس سنوات يا جدتي وأنا عندما أترافع في قضية حضانة أشعر بالغيرة كلَّما وجدت أمًا تدافع بشراسة عن حقها في حضانة أبناءها تقاتل بكل ما أوتيت من جهد وقوة رغم الفقر وقلة الحيلة، خمس سنوات وحزني يتجدد في كل مناسبة لأتذكر الذين تخلُّوا عني بملئ إرادتهم.

خمس سنوات وأنا أحاول فيهم أن أعيش بطريقة طبيعية لكن ألم الهجر وطعم الخذلان لا زلت أشعر بمرارته في قلبي،

خمس سنوات وأنا أرفض كل من يطرق باب قلبي طالبًا الود بينما تزوَّجت اختاي وأنجبتا، خمس سنوات وعلاقتي بالمرأة التي ولدتني تزداد جفاءً وتعقيدًا، خمس سنوات وأمنيتي الوحيدة أن أتي إليكِ.

❀❀❀

تلقَّيت مكالمة مفاجئة من خالي الأكبر طلب فيها مقابلتي على وجه السرعة.

قال لي خالي عندما التقيت به: والدتكِ مصابة بذاك المرض الخبيث زوجها عندما علم بذلك تزوَّج عليها فتاة في سن أختكِ الصغرى، وقال لها: أخوتكِ أولى برعايتكِ، الوضع سيء وأختاكِ كل واحدة منهما منشغلة بزوجها وأولادها، ولا يوجد من هو أفضل منكِ لرعايتها أنت الأولى بوالدتكِ يا فرحة.

أجبته.. الآن تذكرتم أن لها ابنة هي لم تقدم لي الرعاية في صغري حتى أقدمها لها في كبرها، ثم إنه ليس لديَّ أم، أمَّا عن كونها ولدتني فأين الإنجاز فالجميع ينجب حتى الحيوانات أعزَّك الله، ثم قمت بالاستئذان منه وغادرت لبعض عملي ولم أستطع التفكير بأي شيء غير ذلك الحديث الذي دار بيني وبين خالي.

لا يمكنني أن أصف لكِ يا جدتي ما شعرت به، لم أتخيل يومًا أن يحدث هذا! أهو الزمان حين يدور؟!

لست أدري إن كنت حزينة من أجلها أم لا؟

لم أستطع فهم مشاعري، ولم أستطع التفكير في أي شيء أخر، إن المرأة التي تخلَّت عني تخلى عنها الجميع، وليس لديها أحد يرعاها سواي، كيف ستنتقل إلى العيش معي، وسأنظر كل يوم إلى وجهها فيُذكِّرني بأنني الطفلة غير المرغوب بها ثم نتناول الطعام معًا فأتذكر أنها جففت لبنها بينما كنت في حاجته لترتدي فستان زفافها الثاني.. كيف؟!.. وكيف؟!.. وكيف؟!

قضيت ليلة طويلة لم أذق فيها طعم النوم..تذكرتكِ يا جدتي

عندما قلتِ لي: إن فرحة لو أتيحت لها فرصة الانتقام فلن تنتقم من أحد، أنا حقًا لا أريد أن أنتقم من أحد، عندما جاء الصباح كنت قد استجمعت شجاعتي واتصلت بخالي، وطلبت منه أن يُحضر أخته لتُقيم معي.

عندما رأيت المرأة التي تخلَّت عني ارتبكت كثيرًا لقد أفسد المرض تفاصيلها، واحتلَّ الضعف جسدها، بشرتها أصبحت شاحبة.. جسدها صار نحيلًا.. سقط شعر حاجبيها.

تظاهرت باللامبالاة لكي لا أنهار أمامهما، أنا لم أتمنى لها الشر... لماذا يحدث لنا كل هذا..؟!

أطلعني خالي على مواعيد الأدوية والجلسات، عندما غادر خالي تعمدت عدم النظر إليها قلت لها هذه غرفتكِ إذا كنتِ بحاجة لأي شيء فقومي بالنداء عليَّ ثم دخلتُ غرفتي وأغلقت بابها عليَّ، وبكيت كثيرًا.

❀❀❀

هل كان لديَّ خيار؟ هل كان بمقدوري فعل شيءٌ أخر؟.. أنتصر لنفسي.. لسنوات عمري الضائعة بلا أحضان أم.. بلا عناية والد.. بلا محبة أخت.. بلا رعاية عائلة..؟

هل كان بمقدوري أن أتنصل منهم كما تنصَّلوا مني قديمًا وتركوني بين براثن الحياة..؟

نعم كان لديَّ الخيار، لكني اخترت أن لا أشعر مستقبلًا بالذنب، أخترت أن لا أُقابل الجحود بالجحود.. التخلي بالتخلي.. الإساءة بالإساءة.

كان كل شيء في البداية معقدًا.. لم أكن أعلم كيف يمكنني التعامل معها؟.. كنت أحاول أن أتقي الله فيها.. أحاول نسيان

الماضي والتغاضي عن كل ألم وتجاوز كل شيء.. وكان الشيطان يحاول جاهدًا إفساد ما أحاول جاهدة الوصول إليه.

في البداية كنت قاسية لا أحتمل وكانت والدتي تُقدِّر لي ذلك، أو ربَّما لم يكن لديها خيارٌ أخر.

لقد تعلَّمت يا جدتي أن للضعف وجهٌ أخر منا وجهٌ لا يمكننا تجاهله، جميعنا ضعفاء بطريقة أو بأخرى، ضعفاء حتى إن بدونا غير ذلك، ضعفاء حين نكتشف أننا نقاوم الحياة بمفردنا بلا خل ولا حبيب، ضعفاء في خوفنا من فقد ما بين أيدينا، ضعفاء حين تختبر مبادئنا.

لم أكن أدري أنني سأصمد لم أكن أعلم أنني سأنجح في الاختبار، لكنَّني قدَّمت أفضل ما يمكنني تقديمه، أصرَّت والدتي على أن يتم زواجي قبل رحيلها، تعرَّف عليَّ الرجل الذي صار زوجي في إحدى المرَّات التي كان يحضر فيها مع والدته جلسات العلاج، كانت والدته تتحسن بينما حالة والدتي تسوء.

رحلت والدتي سريعًا يا جدتي لم نحصل على الوقت الكافي لنصبح صديقتين، كنا نتعامل كشريكتين في السكن كزميلتين لكن ليس كأم وابنتها، وقد عزَّ عليَّ فراقها لكنني لم أحزن كما حزنت

على فراقكِ، إذا ما قابلتِ أمي يا جدتي فلا تقومي بمعاتبتها قابليها بصدر رحب، فقد عفوت عنها..نعم صرت أخيرًا أناديها بأمي.

جدتي العزيزة لديَّ لكِ خبر سار فقد وضعت صباحًا بفضل الله مولودتي الأولى وقد أسميتها هبة تيمُّنا باسمكِ وتخليدًا لذكراكِ، وأسأل الله أن يكون حظَّها أفضل من حظي.. فلتطمئن روحكِ.

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة..

وأمَّا بعد...

العالم هو أنا وأنت وهي وهم والتفاصيل الصغيرة.. العالم هو ضحكتها هي.. وشهامتك أنت ودعمهم لكما.. العالم هو الخريف عندما يصيبنا العجز والشتاء عندما تُجمِّدنا القسوة وتقتلعنا العواصف والربيع عندما نزهر جميعًا.. لا أحد يعيش بمفرده مُبعدًا نفسه عن كل شيء.. حتى لو آثرنا الوحدة وابتعدنا ستعيدنا جاذبية الحاجة وغياب القدرة على الاستغناء.. العالم يفقد توازنه عندما يستمر الأشرار في التكاثر والنمو والازدهار بينما يترك الأخيار الساحات مستسلمين للحزن الأكبر والخيبات التي لا حصر لها.. تاركين الساحة لمن باعوا المبادئ واستبدلوها بحساب بنكي أو إقطاع زراعي أو نفوذ طاغٍ.. العالم هو ما زرعناه أنا وأنت فاحسن الزرع ولا تنتظر الحصاد

محبَّتي الأبديَّة

المُخلصة

د. فاطمة الزهراء الحسيني